

التواضع، نتائجه وأفضل أنواعه

عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا بمعنى المشي الهادئ الناعم، فهؤلاء المؤمنون العلامة الأولى لعبوديتهم للرحمن هو التواضع المملوءة به نفوسهم حتى انعكس على ظواهرهم من خلال طريقة مشيهم. ومما لا شك فيه أنه ليس المقصود بالكلام الوارد في الآية هو طريقة المشي فليست مقصودة بذاتها، بل هي باب ووسيلة لمعرفة المضمون النفسي للإنسان والحالة الخلقية من جهة، والحالة الروحية من جهة أخرى، فكانت الآية جاءت لتقول إن عباد الرحمن أناس نفذ التواضع والخشوع إلى أرواحهم وقلوبهم فانعكس على طريقة مشيهم.

حدود التواضع:

إنَّ للتواضع علامات وحدوداً فالتواضع حقيقة هو صفة بين صفتين، وهو حالة وسط بين حالين، الأولى هي الكبر، والثانية هي الذل، فكما أنَّ الكبر هو حالة إفراط وهو مرفوض وممقوت، وكذلك التفریط الذي هو الذل ممقوت ومرفوض، بل لم يأذن المولى للمؤمن أن يذل نفسه، فالمطلوب هو العدل، وهو المنزلة الوسط بين المنزلتين وهو التواضع أي أن يعطي كل ذي حق حقه. فقد نهت الروايات عن التواضع لمجموعة من الناس منهم.

١. **الفني:** عن الإمام علي عليه السلام: «من أتى غنياً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه»^(٧).

٢. **الحكام والمخالفون في الدين:** عن الإمام الصادق عليه السلام: «أَيُّمَا مُؤْمِنٍ خَضَعَ لِمُصَاحِبٍ سُلْطَانٍ أَوْ مِنْ يَخَالِفُهُ عَلَى دِينِهِ طَلِباً لِمَا فِي يَدَيْهِ، أَخْمَلَهُ اللَّهُ وَمَقَّتَهُ عَلَيْهِ وَوَكَّلَهُ إِلَيْهِ، فَإِنْ هُوَ غَلَبَ عَلَى شَيْءٍ

من تواضعه معرفته بقدره»^(٨).

التواضع في القرآن:

إنَّ أحد أهم الصفات الأخلاقية التي يأمر تعالى نبيه ﷺ أن يتحلّى بها هي التواضع، فمرة يقول له: **«وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»**^(٩) وأخرى ينهاء عن التلّسّ بما هو من آثار ضدَّ التواضع **«وَلَا تَنْشُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا»**^(١٠).

وكذلك ما ورد في سورة لقمان من وصاياه لولده.

ومن أبدع ما ورد في القرآن حول التواضع ما ذكره تعالى من صفات عبادٍ خاصين نسبهم إلى إسم من أسماء الجمال فكانوا بتسمية القرآن عباد الرحمن، حيث وصفهم قائلاً: **«وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا»**^(١١).

ففي سورة الفرقان ذكر الله تعالى اثنتي عشرة صفة من صفات عباد الرحمن بعضها يتعلق بالجانب العقائدي، وبعضها أخلاقي، ومنها ما هو اجتماعي، ومنها ما يتعلق بالفرد، ومنها ما يتعلق بالجماعة^(١٢)، لكن الملفت أنَّ أول صفة ذكرها هي التواضع ونفي الكبر والغرور والتعالي، وحيث إنَّ الملكات الأخلاقية تظهر على صفحة النفس من خلال الأفعال والأقوال فإنَّ من أبرز مظاهر الكبر هو المشي بتبختر وخيلاء، وكذلك من أبرز مظاهر التواضع هو المشي الذي عبر عنه **«يَمْشُونَ**

محاور الموضوع الرئيسية:

مقدمة: معنى التواضع

. التواضع في القرآن

. حدود التواضع

. نتائج التواضع وآثاره

. أفضل التواضع

. تواضع تكن من شيعه علي عليه السلام

الهدف:

بيان معنى التواضع وبركاته وآثاره وأفضل أنواعه والحث على تحصيله.

تصدير الموضوع:

عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«التواضع نعمة لا يحسد عليها»^(١).

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٤.

مقدمة: معنى التواضع:

إنَّ التواضع هو صفة ضدَّ الكبر هذه الصفة الممقوتة المحقورة، وحقيقة معناه «هو انكسارٌ للنفس يمنعها من أن يرى لذاتها مزية على الغير، وتلزمه أفعال وأقوال موجبة لاستعظام الغير وإكرامه، والمواظبة عليها أقوى معالجة لإزالة الكبر»^(١).

فهو صفة نفسانية نابعة من معرفة الإنسان لنفسه من ضعفها، إلى فقرها، إلى عجزها وذلكها أمام عظمة الله، ومقارنته بالأولياء والصفاة من العباد، وكذلك أمام سعة الكون وعظمته فأين الإنسان من الأرض التي عليها، وأين الأرض من المجرة، وأين المجرة من الكون في سعته وعظمته وعجائب خلقته. قد جاء عن الإمام علي عليه السلام: «حسب المرء...

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٤.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٦) راجع تفسير الأمل للشيرازي، ج١١.

(٧) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٤.

إليه يصعد الكلم الطيب

من دنياه وصار في يده منه شيء نزع الله البركة منه، ولم يؤجره على شيء ينفقه في حج ولا عمرة ولا عتق»^(١).

٣. المتكبر: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم المتواضعين من أممي فتواضعوا لهم، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم، فإن ذلك لهم مذلة وضغار»^(٢).

وللتواضع حدود في الكيفية وهي:

١. عدم الإفراط: بمعنى عدم المبالغة فيه وفي المظاهر، بحيث يصل إلى درجة إهانة النفس وإذلالها. وقد الفت إليها الرواية التالية عن رسول الله ﷺ: «طوبى لمن تواضع لله تعالى في غير منقصه، وأذل نفسه في غير مسكنة»^(٣).

٢. عامل كما تحب أن تعامل: عن الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ: «لما سئل عن حد التواضع قال: «أن تُعطي الناس من نفسك ما تحب أن يعطوك مثله»^(٤).

نتائج التواضع وآثاره:

إن للتواضع آثاراً ونتائج كثيرة على المستويات كافة، الفردية والاجتماعية على مستوى الأبعاد النفسية وكذلك في دأري الدنيا والآخرة، وقد ذكرت الروايات ذلك فمنها:

١. محبة الناس: عن الإمام علي ﷺ: «ثمرة التواضع المحبة، ثمرة الكبر المسبة»^(٥).

٢. منع العدوان: عن رسول الله ﷺ: «تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد»^(٦).

٣. الذكر الحسن والسُّعة الحسنة: عن الإمام علي ﷺ: «التواضع ينشر الفضيلة، التكبر يُظهر الرذيلة»^(٧).

٤. المهابة: عن الإمام علي ﷺ: «التواضع يكسوك المهابة»^(٨).

٥. تيسير الأمور: عنه ﷺ: «بخفض الجناح تنتظم الأمور»^(٩).

٦. التحصن من إبليس: عنه ﷺ: «اتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم إبليس وجنوده، فإن له من كل أمة جنوداً وأعواناً»^(١٠).

٧. النشاط في العبادة: عن الإمام علي ﷺ: «من تواضع قلبه لله، لم يسأم بدنه من طاعة الله»^(١١).

٨. الحكمة: عن الإمام الكاظم ﷺ: «إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا، فكذلك الحكمة تُعمر في قلب المتواضع ولا تُعمر في قلب المتكبر الجبار، لأن الله جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبر من آلة الجهل»^(١٢).

٩. علو المقام والدرجة: عن رسول الله ﷺ: «إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة»^(١٣).

أفضل التواضع:

من خلال ما سبق يتبين أنَّ التواضع أشبه بمزرعة تنبت بها مكرمات النفوس، وباب إلى سمو مقاماتها، فهي أرض يُستنبت فيها الخضوع والخشية والحياء، وقد ذكر صاحب جامع السعادات: أن هذه الخلال لا تأتي إلا من التواضع، بل إن تمام النعمة هي بالتحلي إضافة إلى كل المزايا بإضافة التواضع إليها وقد قال الإمام علي ﷺ: «التواضع تتم النعمة»^(١٤).

والتواضع شرط في قبول العبادة فقد روي أن الله أوحى إلى موسى ﷺ:

«إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعازم على خلقي...»^(١٥).

وهو إصطفاً من الله إلى من يحبه فعن رسول الله ﷺ: «أربع لا يُعطيها الله إلا من يُحبها، الصمت... والتواضع»^(١٦).

خاتمة: تواضع تكن من شيعة علي ﷺ:

عن الإمام الحسن العسكري ﷺ: أنه ورد على أمير المؤمنين ﷺ أخوان له مؤمنان: أب وابن، فقام إليهما وأكرهما وأجلسهما في صدر مجلسه، وجلس بين يديهما، ثم أمر بطعام فأحضر فأكل معه، ثم جاء قنبر بطلست وإبريق خشب ومنديل ليبس وجاء ليصب على يد الرجل، فوثب أمير المؤمنين ﷺ وأخذ الإبريق ليصب على يد الرجل، فتمرغ الرجل في التراب وقال: يا أمير المؤمنين! الله يراني وأنت تصب على يدي؟ قال ﷺ: «أقعد واغسل فإن الله عز وجل يراك وأخوك الذي لا يتميز منك، ولا يتفضل عليك يخدمك، يريد بذلك في خدمته في الجنة مثل عشرة أضعاف عدد أهل الدنيا، وعلى حسب ذلك في ممالكه فيها. فتعد الرجل فقال له علي ﷺ: أقسمت عليك بعظم حقي الذي عرفته، وبجلته وتواضعك لله، حتى جازاك عنه بأن ندبني لما شرفك به من خدمتي لك، لما غسلت مُطمتاً كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبر، ففعل الرجل ذلك، فلما فرغ ناول الإبريق محمد بن الحنفية وقال: يا بني لو كان هذا الابن حضرنى دون أبيه لصببت على يده، ولكن الله عز وجل يأبى أن يُسوِّي بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان، لكن قد صب الأب على الأب فليصب الابن على الابن، فصب محمد بن الحنفية على الابن. ثم قال الحسن بن علي العسكري ﷺ: «فمن اتبع علياً ﷺ على ذلك فهو الشيعي حقاً»^(١٧).

(٨) نفسه.

(٩) نفسه.

(١٠) نفسه.

(١١) نفسه.

(١٢) نفسه.

(١٣) نفسه.

(١٤) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٤.

(١) نفسه.

(٢) جامع السعادات النراقي، ج١، ص٣١٥.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٤.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(١٥) جامع السعادات، النراقي، ج١.

(١٦) نفسه.

(١٧) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٤.